القيم الأخلاقية مع الآخر بين الديانات السماوية الثلاثة وانعكاساتها الواقعية.

–دراسة تحليلية مقارنة–

Ethical values with the other between the three monotheistic religions and their realistic implications.
- Comparative Analytical Study -

د. خديجة جوادة *

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة– الجزائر

khadidjadjouada92@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/09/20 تاريخ القبول : 2020/12/23 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:

تحتل القيم الأخلاقية أهمية كبيرة ضمن المنظومات الدينية، لا تقل أهمية عن النظم العقدية والتشريعية في الأديان، وبناء على أنّ النسيج الانساني متنوع الانتماءات الدينية والعقدية، ولا يمكن للعلاقات الانسانية أن تبنى على القطيعة والصراع، فكان لضبط العلاقة مع الآخر ضرورة واقعية وتحدي أمام الديانات، ولهذا لم تهملها الأديان منذ ظهورها، فالتشريعات الدينية لم تبق علاقات الإنسان بغيره الذي لا ينتمي إلى إطاره الديني بدون تنظيم، وإنما كانت المنظم والمؤطر لها ضمن قيم أخلاقية محددة، تضبط العلاقات الإنسانية مهما اختلفت المعتقدات، كما كان لها انعكاس عميق وظاهر عبر تاريخ الشعوب وفي واقعنا المعاصر.

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية؛ اليهودية؛ المسيحية؛ الإسلام؛ الآخر.

* المؤلف المراسل

Abstract:

The ethical values with the other have a great importance in the religious systems, and no less important than the doctrinal and legislative systems of religions. And based on the fact that the human construction has a variety of religious and belief affiliations, and human relations cannot be based on estrangement and conflict, so controlling the relationship with the other was a realistic necessity and a challenge in front of religions, and that is why religions have not neglected it since its emergence. Religious legislation did not keep human relations with others who did not belong to their religious framework without organization, Rather, it was the organizer and framer for it within specific moral values that regulate human relationships regardless of the differences in beliefs, and they have a deep and visible reflection in throughout the history of peoples and our contemporary reality.

key words: The ethical values; Judaism; Christianity; Islam; other.

مقدّمة:

تحتل القيم الأخلاقية التعاملية أهمية كبيرة ضمن المنظومات الدينية، لا تقل أهمية عن النظم العقدية والتشريعية في الأديان، بل هي ثمرة الاعتقاد والتشريع، وتعبر عن المثل العليا والمبادئ في كل الحضارات البشرية، بمختلف ثقافتها ومعتقداتها على امتداد التاريخ الانساني، بغض النظر عن الاختلاف في مصدر هذه القيم في كل حضارة أو مجتمع بشري، وتمثل هذه القيم الأخلاقية الموجه العام للسلوك البشري داخل المجتمع وخارجه، نحو تحقيق ما يعتقد أنّه فيه الخير والنفع.

كما أنّ العلاقة مع الآخر ضرورة واقعية وتحدي أمام الأديان، ولهذا لم تهملها هذه الأخيرة منذ ظهورها، فالتشريعات الدينية لم تبقي علاقات الإنسان بغيره الذي لا ينتمي إلى إطاره الديني بدون تنظيم، وإنما كانت المنظم والمؤطر لها ضمن قيم أخلاقية محددة، تضبط العلاقات الإنسانية مهما اختلفت المعتقدات والانتماءات الدينية، كان لها انعكاس عميق وظاهر في واقعنا المعاصر، ففي الأخير تعد هذه القيم هدفها الأساسي بناء العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، وإعطاء الحياة البشرية قاعدة تساعد على التماسك الاجتماعي، بالرغم من وجود الفروق والتناقضات، داخل المجتمعات البشرية وفيما بينها.

وبناء على هذا سنحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن إشكالية جوهرية للبحث التي تطرحها التساؤلات التالية:

ما هي أبرز القيم الأخلاقية مع الآخر في الديانات السماوية ؟ وماهي انعكاساتها على واقعها عبر التاريخ؟

وللإجابة على مختلف الاشكاليات المعرفية التي يطرحها البحث، ارتأينا اتباع المنهج الاستقرائي والتحليلي، لاستقراء القيم الأخلاقية التي ترسيها النصوص الدينية للديانات السماوية وتحليلها، ثم اتباع المنهج المقارن لمقارنتها ومعرفة مدى التوافق والاختلاف فيما بينها، وتأثيرها على واقعنا

نهدف من خلال هذا البحث إلى ابراز الجانب الأخلاقي الذي أرسته الديانات السماوية في نصوصها المقدسة للتعامل مع الآخر، لأن الانسان اجتماعي بطبعه، وبما أن النسيج الانساني متنوع الانتماءات الدينية والعقدية، فلا يمكن أن تبنى العلاقات الانسانية على القطيعة والصراع، بل نحاول ابراز الجانب الأخلاقي والانساني والسلمي وقيم التعايش التي ترسيها الأديان، ومعرفة مدى توافقها أو اختلافها، ليخلص البحث إلى جملة من النتائج التي تبين مدى توافق واختلاف القيم الأخلاقية في المنظومة الدينية اليهودية والمسيحية والإسلامية، وإلى نتائج مفادها تكامل وإنسانية القيم الأخلاقية الإسلامية وربطها للتعامل الإنساني بنظام أخلاقي يضبط العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية.

تتضمن هذه الورقة البحثية مقدمة، وأربع محاور بحثية سنتناولها بالدراسة للإجابة على إشكالية البحث، ومختلف مضامينه، وتختتم بخاتمة تلخص نتائج البحث وتوصياته، وهي كالآتي:

أولا– القيم الأخلاقية مع الآخر في اليهودية.

ثانيا– القيم الأخلاقية مع الآخر في المسيحية.

ثالثا– القيم الأخلاقية مع الآخر في الإسلام.

رابعا– انعكاس القيم الأخلاقية مع الآخر في الواقع المعاصر.

وقبل أن نبدأ مناقشة مختلف اشكاليات البحث وجب عليها الوقوف على جملة من المصطلحات التي يحملها بحثنا ، وبيان مقصودها ودلالاتها، كضرورة منهجية وعلمية، نستطيع من خلالها حسم التعريفات وضبط الدلالات، حسب ما يقتضيه البحث، وأهدافنا المرجوة من خلاله.

1– مفهوم القيم الأخلاقية:

للوصول إلى الدلالة المعرفية لمصطلح القيم الأخلاقية، ارتأينا أن نقدم تعريفا عاما لمفهوم القيمة، ومفهوم الأخلاق أولا، يمكننا من الوصول إلى تعريف إجرائي، يتماشى ومعطيات البحث، لمدلول القيم الأخلاقية.

أ– تعريف القيمة: إن مصدر مصطلح (القيمة) في **اللغة العربية،** مشتق من الفعل "قام يقوم قياماً، بمعنى انتصّب وعزم، كما يرد الفعل قوّم الشيء بمعنى جعله يستقيم ويعتدل، وقوّم السلعة: قدّر ثمنها وسعّرها"[1]، أي حدد لها سعرا. كما أنّ معنى "قولنا قوّم الشيء أي استقام واعتدل، وقوّمته أي عدّلته، فهو قويم ومستقيم"[2]، وتجتمع معاني القيمة في معاجم اللغة العربية، للدلالة على الاستقامة، والاعتدال، بينما يذهب معناها الاقتصادي إلى تقويم السلع، وتقدير ثمنها، أمّا اللغات اللاتينية، فما تزال كلمة القيمة تحتفظ بشيء من معناها اللاتيني، فلفظة قيمة في الاستعمال اليومي تدل "valeur "، الذي يحمل معنى "أنني قوي" "إنني بصحة جيّدة"، ثم اتخذ الفعل معنى أوسع، وهو أن يكون الإنسان بالفعل ناجحا ومتكيفا على البسالة والشجاعة[3]، أمّا في **الاصطلاح** فان معنى مصطلح القيمة يختلف باختلاف المدارس الفكرية والمذاهب الفلسفية، فهناك من يضفي عليه صبغة اقتصادية، وهناك من ينتقل به من الواقع إلى القانون، وما هو مرغوب ومطلوب تحقيقه، ولهذا يصعب تحديد المعنى الدقيق للقيمة، لأنّ هذه الكلمة تمثل في الغالب مفهوما متحركا ومرنا[4].

يطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق، على ما يدل عليه لفظ الخير والشر، "بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر"[5]، فالقيمة :"صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال(أي المعرفة)، والأفعال(أي الأخلاق)، والأشياء (أي الفنون)، ومادامت كامنة فهي لا تتغير بتغيّر الظروف والملابسات"[6].

أمّا من ناحية ارتباط القيمة بالسلوك الإنساني، تكتسب القيمة هنا معنى البوصلة التوجيهية للسلوكات البشرية، بغية توجيهها لما هو أفضل، وما هو مرغوب تحقيقه، قصد تحقيق النظام ونشر المثل الأخلاقية، "فالقيمة حاضرة في السلوك الإنساني، وهي التي تحدد اتجاه السلوك وترسم مقوماته، وتعيّن بيناته، ومن ثمّ يصح أن نعرف القيمة بالمعنى الواسع، على أنها بنية الواقع التي تلازم عملنا، أو أنها طراز الشروع في العالم ووسمه بسمات مطالبنا الدائمة أو الموقوتة، فالقيمة إذن شرط كل الوجود، ولكنها ليست بذاتها وجودا، إنها تبدو لنا في ثوب شيء نرغب فيه، أو هدف نبتغي نواله، أو توازن نسعى إلى تحقيقه، غير أنها لا تتحد بالهوية مع الموضوع الراهن، أو مع اللحظة التي تجسدها"[7].

ب– تعريف الأخلاق:

الأخلاق في **اللغة** السجية والطبع والعادة والمروءة والدّين[8]، أمّا في **الاصطلاح** حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان تصدر عنها أفعال جميلة ومستحسنة، سمي الخلق خلقا حسنا، وإن كان تصدر عنها أفعال قبيحة، سمي الخلق خلقا قبيحا[9]، كما يقول أبو حامد الغزالي في تعريفه للخُلق: يقال فلان حسن الخُلق، والخَلْق أي حسن الظاهر والباطن، فالخُلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير فكر ولا روية[10]، كما تعرّف الأخلاق بأنها " حالة نفسية تدفع الانسان نحو العمل دون ترو وتفكر وهذه الخلق النفسية قد تكون في الإنسان طبيعية وفطرية ومرتبطة بمزاج الانسان من دون فرق بين ما هو خير أو سعادة أو شر أو شقاء[11].

ويجمع مصطلحنا الذي هو محور هذا البحث بين القيمة والأخلاق، وهو القيم الأخلاقية، وهو مفهوم مركب يشمل القيمة من ناحية والأخلاق من ناحية أخرى، **فالقيم الأخلاقية** تهتم بدراسة ما أودع في النفس الإنسانية من العقل بمعرفة الحقيقة، وما أودع فيه من الشعور يهتم بممارسة الخير، وإذا كان العلم تتجلى أهميته في رقي الإنسان المادي، فإنّ الأخلاق لها أهمية كبيرة، لأنها تتصل بالجانب الروحي للإنسان[12]، وتعمل على ترقيته وتحسينه، والذي تمثله دائرة المثل العليا، المرغوبة التي ينشدها الفرد والمجتمع، التي من شأنها تهذيب النوازع البشرية، وجشع الطبيعة الإنسانية.

أولا– القيم الأخلاقية مع الآخر في اليهودية.

إنّ القيمة الأسمى للحياة الإنسانية وواجب كل إنسان بذل أقصى ما يستطيع للتعايش مع أخيه الإنسان بسلام، ناهيك عن تقديمه أواصر التعاون والمحبة إذا ما احتاجها الطرف الآخر، وهذه العلاقة الإنسانية المجردة غير موجودة بالمرة في الشريعة اليهودية التي ترى في روح غير اليهودي روحا شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات[13]، ولا تعترف حتى بإنسانية غير اليهودي ناهيك عن احترام حقوقه، والتعايش معه، ولهذا اتخذت اليهودية من العزلة العنصرية قاعدة أو عقيدة اجتماعية أينما حلّ اليهودي عبر التاريخ.

ولما كانت الشخصية اليهودية ترى في الأغيار نظرة غير إنسانية لا تنم عن صدق مشاعر بل روح ملؤها الحقد والقتل والانتقام ، فحسب تعاليمهم إن إنقاذ حياة يهودي واجب لا يعلو عليه واجب آخر فهو يتقدم على جميع الواجبات الدينية الأخرى باستثناء تحريم أشنع المعاصي الثلاث فحسب (الزنى والقتل وعبادة الأوثان)[14].

1– قيم التوراة الخاصة بغير اليهودي.

أول دليل لنا على العلاقة التي تحددها التوراة فيما يتعلق بعلاقة اليهودي بغيره اللايهودي، هي أحكام التوراة المرتبطة بالغريب غير معتنق لليهودية، وسنحاول رصد أهم

النصوص التوراتية الدالة على القيم المختلفة التي تأمر بها التوراة أن يعامل بها الغريب ، وابراز أهم تطبيقاتها في الواقع اليهودي عبر العصور.

من بين النصوص التي أردنا الاستشهاد بها هو أحد النصوص المشتركة، الذي ورد ما بين سفر اللاويين والتثنية وكذا الخروج، "كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ ... أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَتَحْفَظُونَ كُلَّ فَرَائِضِي، وَكُلَّ أَحْكَامِي، وَتَعْمَلُونَهَا، أَنَا الرَّبُّ"[15]، وجاء أيضا ما بين سفر التثنية "وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا فَأَحِبُّوا الْغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"[16]، " وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"[17]، أي أن تكون منزلة الغريب وسط اليهود، كمنزلة المؤمن إيمانهم القائم بفروضهم كما يعتبر الوطني بلا أدنى تمييز، وزاد عليها فوق معاملته باحترام وإكرام وإحسان ومشاركته في الحقوق والعدل، فكما كان عليهم أن يحبوا القريب كالنفس، كان عليهم أن يحبوا الغريب كذلك، فهذه الشريعة الحسنة جذبت كثيرين من الغرباء إلى اليهود، فكان في أيام سليمان في الأرض المقدسة من النزلاء والغرباء[18]، وتكرر النهي أيضا في "وَلاَ تُضَايِقِ الْغَرِيبَ فَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ نَفْسَ الْغَرِيبِ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"[19]، التي نهت عن مضايقة الغرباء والإساءة إليهم، وميل الحكام إلى ظلمهم[20]، ويبدو أن رحلة خروج اليهود من مصر، كانت مؤثرة جدا على طقوسهم وآدابهم بصفة عامة، وثلث عبادة اليهود خصصت للاحتفال بالخروج من مصر، ففي الإصحاح الثالث والعشرون من سفر الخروج[21]، فالكتاب المقدس مليء بقصص من المعاناة البشرية جنبا إلى جنب مع القدرة الدائمة على الإصلاح، وتؤسس لقيم الإصلاح والعدالة، خاصة مع الغريب، بألاّ يعيدوا ضيق مصر أينما ذهبوا؛ وبدلا من ذلك يوصي بالعدل ومعاملة الآخرين بالعدل، واحترام البيئة ، وتكريم الموتى، وإعطاء الصدقة ، وحب الجار، وتعليم الأطفال، ورعاية الأرملة واليتيم[22].

نجد أيضا في سفر اللاويين "وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ"[23]، وضعت هذه الشريعة الحسنة النافعة المملوءة بالمعروف والإنسانية والإحسان للغريب الذي ليس بيهودي في الأصل، بل للذي يؤمن إيمان اليهود، ووفق شروط تشريعية محددة يلتزم بها، فأوصت التوراة "فلا تظلموه" بأن تعيّروه أنه من الأمم أو تفضلوا اليهودي الأصلي عليه في المعاملات وأن لا يدعوه دخيلا بل عليهم أن يعتبروه أخا لإيمانه بالإله الحق، ووحيه وقيامه بالفروض والسنن الشرعية[24]، أي أنّ هذه النصوص تختص بفئة معينة من الغرباء غير اليهود وليس جميعهم.

إلا أنّ التناقض الموجود بين نصوص التوراة لا يلبث أن يُظهر عكس هذه القيم في معاملة الغريب، فبينما تدعوا هذه النصوص اليهودية إلى احترام الغريب، ومعاملته بقيم تقوم على المحبة والإحسان، نجد عكس الوصف تماما وتتناقض معه، وتتبعها النصوص العرقية التي تعزز هذا الحقيقة "الشعب اليهودي مقدس ومختلف عن الآخرين"[25]

وفي حادثة الخروج نفسها التي حملها اليهود دلالات التحرر من العبودية وتحقيق العدل، يأتي الأمر الرباني ليوصي عباده، بما يتناقض مع هذه القيم تماما، "وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ"[26]، ثمّ يتكرر الأمر بالسرقة، يقول الرّب لموسى مؤكدا:" تَكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَب"[27]، حيث يذهب النّص إلى استغلال الصداقة وخداع كل رجل صاحبه وكل امرأة صاحبتها من أجل مزيد من السلب والسرقة، ومبرر ذلك هو الظلم والحرمان الذي لاقاه اليهود على يدّ المصريين[28].

يعكس هذا المقطع سمة من السمات الرئيسية للشخصية اليهودية، وتبرز نزعة التخصيص بحيث يكون اليهودي مسؤولا أمام الإله عن الأذى الذي يلحقه بأخيه اليهودي، لكن بإمكانه أن يغش أو يسرق أو حتى يقتل غير اليهودي دون أن يكون

مسؤولا أمام الرب، ودون أن يعتبر ذلك انتهاكا لتعاليم الدّين[29]، وعلى الدوام نلاحظ أنّ الأوامر التوراتية تبيح أموال الآخرين، في حال الحرب أو حال السلم وأنّ مفرداتها مفردات السرقة، أو هي أقرب إلى ذلك، مما يلغي الجانب التربوي الذي يقتضي الحفاظ على أموال الغير، هذه السمّة هي المهيمنة على المفردات الفكرية والعقائدية للعهد القديم، فلا يوجد بناء عقائدي يؤصل للمفاهيم الدينية، ونرى المفاهيم المادية البحتة هي مدار الحدث ومدار الحجة خلال مفاهيم وتعاليم العهد القديم[30]، فاليهود ينظرون إلى أنفسهم بصفتهم جماعة دينية وقومية في ذات الوقت، ويعتقدون أن قوميتهم نتيجة لعلاقتهم الخاصة مع الخالق، الذي أخرجهم من مصر وقادهم أثناء فرارهم من المصريين، وهو الذي أرسل إليهم الشريعة والتوراة كشعب[31].

ولهذا كانت التوراة كتاب اليهود المقدس تزخر بالكثير من النصوص التي تقوي نزوع اليهود إلى التعصب الديني والعنصري، وتنشر التمييز بين بني إسرائيل على من عداهم من خلق الله، فهم في نظر التوراة شعب مقدس اختاره " يهوه" ربّ إسرائيل، ليكون شعبه المختار دون بقية الشعوب، فخاطبهم في سفر التثنية: "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"[32].

ومن خلال هذه النصوص وغيرها نظر اليهود إلى أنفسهم على أنهم الشعب الذي اصطفاه الله، وفضله على العالمين، وأن غيرهم من الشعوب أقل منهم مكانة في درج الإنسانية، ويشترك في هذا باقي المدونات الكتابية اليهودية المقدسة في التراث اليهودي كالتلمود والمدراش، والتي نجدها توصي بألوان من التعصب اليهودي ضدّ أمم العالم.

أمّا بالنسبة للأغيار فالمبدأ الأساس لديهم يقوم على وجوب الامتناع عن إنقاذ حياتهم فحكمتهم تقول بوجوب (ألا يرفع الأغيار من البئر ولا يدفعون إليه) ويشرح ابن ميمون ذلك بقوله: "أمّا بالنسبة إلى الأغيار الذين لسنا في حالة حرب معهم فينبغي ألا نتسبب في موتهم ولكن إنقاذهم ممنوع إذا كانوا على وشك الموت، فإذا شوهد أحدهم على

سبيل المثال يسقط في البحر ينبغي الامتناع عن إنقاذه لأنه مكتوب، " وأنت لن تقف ضدّ دماء قرينك" ولكن الأغيار ليسوا أقرانك، وينبغي لليهودي الطبيب خصوصا ألا يعالج مريضا من الأغيار"، ورغم أنّ ابن ميمون كان طبيبا لامعا، إلاّ أنه يكرر هذا أكثر من مرة، وبهذا فإنّ أبسط مقومات الإنسانية هو حفظ الحياة وحقه في العيش، فلما كان هذا الحق غير مضمون في التعاليم اليهودية بل متعدي عليه، فمن الطبيعي أن تنطبع الشخصية اليهودية بسمات عدائية تجاه كل نفس غير يهودية، ولا يترجى منها كل خير وتعاون مع الآخرين"[33]، وتصل إلى درجة الازدراء والاحتقار، فكانت فقرات التوراة مفعمة بالعنصرية ومغرقة بالنرجسية والتعالي والغطرسة[34].

ومن الأدلة التي نسوقها أيضا للدلالة على التفرقة العنصرية التوراتية، وعلى أنماط السلوك اليهودي النابع من عقيدة "شعب الله المختار"، وأولها الربا، فنجد أنّ النصوص التوراتي تحرم الربا، ولكن يضل حصره داخل أفراد المجتمع اليهودي دون غيره، فالربا محرم بين اليهود، وهو في نفس الوقت شريعتهم تجاه غيرهم.

فنجد أنّ للدين اليهودي ونصوصه تأثير داخل جماعة الشعب، ويمكن أن يكون له تأثيرات بعيدة المدى على حياتهم الاقتصادية وتعاملاتهم المالية[35]، فنقرأ في نص التوراة: "لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَزْنِ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ، لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ، لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ"[36]، والنص يشرح مجموعة من القيم الأخلاقية والسلوكية التي يسلكها اليهودي مع أخيه اليهودي، أمّا شهادة الزور على الآخرين، والاعتداء على حرمات الآخرين وممتلكاتهم فهي مباحة بحماية الدّين ونصوص التوراة، كما أن سفر التثنية شرّع تشريعا قاطعا في تحريم الربا وأن يقرض إسرائيليا بربا، بينما يشرع الربا تشريعا قاطعا على غير اليهود، "لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا... لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا..."[37]، وهذا ما تؤكده الموسوعة اليهودية التي عرّفت الربا بأنه فرض فائدة على القرض، وقد حرمت التوراة الربا بين اليهود على وجه التحديد، لأنّ الاقتراض من المفترض أن يكون المال

عملا خيريا لمساعدة شخص في أوقات صعبة، بدلا من أن يكون فرصة للربح، وتشير إلى أنّ الحاخامات توسعوا في الحظر فيما يخص كل شيء مقترض وليس فقط القرض المالي، إلا أنّ هذا محصور بين اليهود فقط، ولا يلتزم به اليهود مع غير اليهودي[38].

ولا تقف الأحكام عند معاملة غير اليهودي بالربا، بل إن وجد مالا مفقودا للأجانب فإنّه لا يغفر لليهودي للذي يرّد هذا المال[39]، كما يجوز له أن يشهد زورا على غير اليهودي، كما أنه مباح بل واجب غش الأجنبي "غير اليهودي"، وتتعداه إلى ممارسات أكثر شناعة وغير أخلاقية حيث أنه يجوز لليهودي الزنا بغير اليهودي[40]، على الرغم من تناقض التشريع اليهودي وغرائب تقنينه، نجد أنّ كل نصوصه تحمل عقدة التميّز والتفاضل، فمن مفاصل التعامل المالي بين اليهودي واليهودي أو اليهودي وأخيه الإنسان، نرى أنّ قوانين الربا في التوراة تحمل قوة التعالي، حيث تجيز الشريعة اليهودية استغلال اليهودي للإنسان وتحرم مثل هذا الأسلوب والممارسة بين اليهود أنفسهم.

وفي استعباد الإنسان لأخيه الإنسان نرى المنهج التربوي والانساني نفسه، وهو دليل على ازدواجية المعايير، فهناك تعاليم تأمر بفك رق اليهودي، وتعاليم بتشديد العبودية على غيره من بني البشر: "وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك، إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته، وإلى ملك آبائه يرجع، لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد... تستعبدونهم إلى الدهر"[41]، والتعاليم هنا واضحة بعدم جواز رق واستملاك اليهودي وذلك للسبب نفسه، لأنهم عبيد الرب، فلا يجوز بحقهم أي أمر تؤمر به الإنسانية سلبا، بحكم طبيعة الحياة وتطور الصراع الإنساني، أما بنو البشر فيجوز بحقهم الاستعباد والوقوع تحت الرق، بل يبقى الإنسان الآخر رقا مملوكا ما بقي حيا، إذ قال رب التوراة بحقه:" تستعبدونه إلى الدهر" أي لا مجال للحرية لبني البشر بحكم الرق اليهودي، بل الحرية كل الحرية لليهودي فقط، فهي العنصرية العرقية المبالغ فيها بحق الإنسانية.

كما نجد أحكام العهود والمواثيق والأيمان التي يؤديها اليهودي للأجنبي لا قيمة لها ولا تلزم اليهودي بشيء لأنه لا أيمان بين اليهودي والحيوان، فالوفاء هو أساس العلاقة بين بني البشر، وانتفاء الوفاء بالعهد هو عزلة الناكث للعهود، لعدم دوام التعايش معه بسبب كثرة الخلل الناتج بالعلاقة معه، والغريب في التوراة أنّ من لوازم التدين عدم الوفاء بالعهد، يقول رب التوراة في سفر الخروج: " اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ"[42]، فهي بذور العزل في العلاقة فيما بين اليهودي وأخيه الإنسان.

ثمّ يلي ذلك تصعيد آخر لمزيد من العزل، يحدثنا سفر التثنية :"لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ"[43]، أي دعوة إلى مزيد من التحايل وسوء التعامل يصل إلى حد عدم الإشفاق وهو تعبير واضح عن العنف، والأدق هو ترخيص باستعمال العنف للتحلل من الالتزام بالعهود، والدّين اليهودي هو الدّين الوحيد من بين الأديان سماوية كانت أو أرضية الذي يجيز استعمال القوة لنكث المواثيق المبرمة بين طرفين والتي كان أساسها التراضي والوفاء، وهذه دالة خطرة على التعالي والاستخفاف ببني البشر من قبل اليهودية، ثم تأتي الرعاية الإلهية لكل عزل، لأنّ السبب الحقيقي لكثرة عدم الوفاء هو التحصن في قطعة أرض للعيش في حياة عزلة خارج المجتمع الإنساني.

كل هذه القيم الأخلاقية التي تبثها نصوص التوراة جاءت للتفريق بين اليهودي وغير اليهودي واثبات استعلائه، إلا أنّ ما يلاحظ وحسب الدراسات النقدية التي تثبت تعرض نصوص التوراة وأسفار العهد القديم للتحريف عبر التاريخ، فالتوراة الحقيقية كانت نصا إنسانيا وأخلاقيا لا يفرق بين اليهودي وغيره، ولكن التحريف وإعادة كتابة نصوص التوراة جعل منها نصا يتلاءم مع رغبات اليهود في الانعزال والتفوق العنصري عن باقي البشر.

إنّ منظومة القيم في التشريع اليهودي التي تتحدث عن مجموع العلاقات الإنسانية تبيّن أنّ هناك خطا بيانيا نحو الأعلى في زيادة عزل اليهودي عن محيطة الإنساني من

خلال تعاليم التوراة، بمجموع قراراتها التي تعطيه أفضلية نفسية وكبرا ذاتيا مبالغا فيه، فلا وفاء بعهد لأن اليهودي على الدوام الأفضل والأحسن، وتشرع قتل الآخر لأنّ اليهودي هو الأفضل، جواز اغتصاب نساء العالم لأنه الأكرم، ولا تعامل اقتصادي نزيه يسري على الجميع، إنها مطبات تتعاقب مع مرور الزمن لتشكل جدارا عالي البناء بين الإنسانية جمعاء، هذا التكوين القبلي الصغير هو الجيتو الحقيقي، هو العزل الفعلي الذي بناه اليهود عبر التاريخ على أنفسهم وعلى تاريخهم ووجودهم[44]، بالرغم من أنّ الدين اليهودي ومصدره الأول التوراة دين سماوي يحض على قيم الخير ونبذ الشر، إلّا أنّ التناقض المتجذر أيضا نجده بين النص والآخر، فما يلبث النص يحث على قيمة، حتى ينفيها النص الذي بعده.

ثالثا– القيم الأخلاقية مع الآخر في المسيحية.

تعرّف الديانة المسيحية بأنها: "الديانة التي أسست في القرن الأول الميلادي على يد المسيح الناصري، والتي تدور حول هدف حياته ورسالته"[45]، وبظهورها وجد فيها معتنقوها قيما جديدة لا عهد لهم بها، لا في فلسفة اليونان ولا في شريعة اليهود، وكانت من أقوى الدعوات وأرفعها صوتا وأكثرها عمقا وإيثارا للرفق والخير والمحبة، فقد قامت دعوة المسيح على جملة من القيم الأخلاقية التي حاول ارساءها بين أتباعه، فيما بينهم ومع غيرهم، وهذا ما سنحاول تتبعه من القيم الأخلاقية التي أقامتها دعوة المسيح، ومآلاتها بعد المسيح وصولا إلى انعكاساتها في واقعنا المعاصر.

1– دعوة عيسى (عليه السلام) الأخلاقية:

كانت دعوة المسيح عيسى (عليه السلام) بين قومه اليهود مؤيدة بمعجزات مادية، اختلف ذكرها بين الأناجيل والقرآن الكريم، فيذكر القرآن الكريم كلامه في المهد، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وغيرها من المعجزات المادية إعلانا للسلطان الإلهي في مواجهة الالحاد الفكري الذي ساد العقلية اليهودية المادية، التي اشتهرت بإنكار الروح بالقول والفعل،

وتفسير كل شيء في الوجود تفسيرا ماديا بالسبب والعلة والغاية، واتخذ عندهم شكلا نظريا وسلوكيا، فكانت هذه المعجزات قهرا ماديا للفكر المادي حتى يرجعوا إلى الفكر والروح، وبعد أن كان ما يهم الإنسان هو سعادته، فقد جاءت دعوة المسيح ترسخ أنّ هذه السعادة ليست في هذا العالم، وهذه الأرض ما هي إلا منفى، أمّا مملكة الله فليست في عالمنا الأرضي بل هي في العالم الآخر، وبهذا جعلت المسيحية كل قيم الدنيا لا تساوي شيء أمام القيم العليا الخالدة في الحياة الخالدة، وأضحى الاهتمام الأول والأخير للإنسان هو العالم الآخر، ويستحوذ على كل رغباته وآماله، وتسيطر على سلوكه وأفراده وأفكاره.

إنّ جوهر المسيحية كما ترسمها الأناجيل الأربعة المعتمدة، هي الرسالة الأخلاقية الروحية، وتقوم على مبدأ المحبة أو الحب، محبة الله، محبة الناس، محبة الكون مبدأ يربط الإنسان بالكون الذي يتجاذب بقانون المحبة، وكلما خفف الإنسان من أنانيته وانعتق ذاته، وانسجم مع الكون[46]، فيقول الإنجيل: "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح، والإنسان الشرير من كنز الشرير فإنه من فضله القلب يتكلم اللسان"[47].

وتوصف المسيحية بأنها أكثر الديانات إنسانية في نصوصها ودعوة المسيح (عليه السلام)، فهي لا ترفض أبدا ما هو إنساني حقا، بل إنها تتبنى كل ما يفعله أو يرغب في تحقيقه كل بار وصدّيق، فتعليم المسيحية الخُلقي وفقا لروح العهد الجديد وآباء الكنيسة، لا ينحصر في قوانين وأشكال محددة، إنما يبقى متقبلا كل ما هو إنساني حقا.

كما تولي دعوة المسيح الأخلاقية، أولوية كبيرة لقيمة الإنسان وكرامته، واعتبار الإنسان قيمة مطلقة، إذ هو صورة الله، ويقصد بها الإنسان، وأي إنسان مهما كان جنسه أو لونه أو معتقده فالله لا يميّز بين البشر، وهو يحب كل أبنائه فمن محبة الأب لأبنائه تنبع قيمة الإنسان المطلقة، ويقتبس الإنسان معناه المطلق.

لذلك نجد يسوع لا يفرق بين الأديان والأوطان، بل كان يظهر ميوله للمنبوذين، أمثال العشارين والسامريين والخاطئين والزواني... ليفهم المؤمنين أن محبته لا تعرف حدا

ورحمته إلى المنتهى، وقلبه يتسع إلى سعة العالم، " وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ"[48] "تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ"[49]، فكل شخص بصفته خليقة الآب وابنه، مخلصا من لدن يسوع المسيح، ويستحق التقدير والاعتراف به كقيمة مطلقة[50]، فكانت دعوة المسيح عليه السلام انسانية تحترم الإنسان وقيمته كإنسان يستحق الاحترام دون تمييز، كما أوجبت احت امه ودعوته والتعال معه ولو كان من المخطئين.

1– القيم الأخلاقية المسيحية مع الآخر.

– قيمة المحبة والتسامح:

كانت الدعوة للتسامح والاحسان، وإشاعة السلام والأمن بين الناس من ضمن دعوة المسيح (عليه السلام)، ولذا يستمسك المسيحيون ببعض ما نسب للمسيح من مواعظ وأقوال ليعطوا للديانة المسيحية دعوى الخصوصية والتميّز بكونها دين المحبة والسلام والتسامح، ويدّعون أنها الديانة الوحيدة التي جاءت بمحبة الأعداء والأصدقاء معا، وأنّ دعوة المسيح تعّد أقوى الدعوات و أرفعها صوتا و أكثرها عمقا إيثارا للرفق و الخير و المحبة، فهي التي يقول فيها المسيح مخاطبا المؤمنين به:

"لكنِّي أقول لكم أيها السامعون :أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لأعنيكم، و صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم، من ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضا، و من أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا، و كل من سألك فأعطه .و من أخذ الذي لك فلا تطالبه، و كما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا أنتم أيضا بهم كهذا و إن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم فإنَّ الخطاة أيضا محبون الذين يحبونّكم، و إن أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فبأي فضل لكم فإن الخطاة يفعلون هكذا ، و إن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم، فأي فضل لكم، فإنَّ الخطاة أيضا يقرضون الخطاة، لكي يستردوا منهم المثل، بل أحبوا أعداءكم، و أحسنوا و أقرضوا، و أنتم لا

ترجون شيئا فيكون أجركم عظيما و تكونوا بني العليِّ، فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار"[51].

فعرفت المسيحية بدين السلام والمحبة والإيثار والتحمل، وهذا له أسبابه ذلك أنّ المسيحية قامت في عالم أرهقته المفاسد والمظالم والذل، فاعتاد الطاعة والصبر والتحمل، خشية البطش، ولم يمارس السيد المسيح، المعلم الوديع سلطانا، بل كان يقول: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالم، لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُود، وَلكِنِ الآنَ لَيسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا"[52]، وذلك هو الفرار من المواجهة بل من الحياة كلها، و لم يهبه الله كفاحا ولا عزما، بل وهبه روحا وحديثا يكلم الناس و يسليهم، ووهبه صنع المعجزات، فلم يتمرد المسيح على حاكم و لم يدع إلى تمرد أو ثورة أو عنف[53]، وترتبط المحبة بالأشخاص لكنها لا تنحصر في نطاق العلاقات الشخصية، أو تهمل قوانين الحياة الاجتماعية، متى كانت المحبة فاعلة في الحياة الاجتماعية قادت إلى خلق قوانين اجتماعية عادلة[54].

فالإنجيل دعا إلى جملة من القيم الأخلاقية للسلوك الإنساني، وأمر بوضعها في مقدمة الحضارة البشرية، نذكر منها على سبيل المثال قيمة الشخص وكرامته، أهمية التضامن والعدالة، معنى التسامح وبذل الذات، وهذه القيم لا يقوم عليها الانجيل وحده ويشدو إليها وإنما هو يوليها أهمية قصوى، وبالنسبة للعلاقات بين البشر فعلى المسيحيين أن يبنوا حضارة مجتمعهم عليها، دون أية مساومة أو تراخ أو إهمال[55].

ويربط المسيحيون بين التسامح والمحبة، فيقولون: إنّ المسيحية هي ديانة المحبة، التي تتعدى الصديق لتشمل العدو، فهذا التسامح والسلام الذي يتحلى به المسيحي هو أثر ومظهر من مظاهر تلك المحبة، ولا يتوقف الأمر عند التسامح وكف الأذى والتغاضي عن الحقوق، بل سيتعدى ليشمل البذل والإحسان والتضحية من أجل العدو، فإنّ هذا هو مقتضى المحبة المسيحية، ومن هذا المنطلق يفسرون موت المسيح على الصليب، ودعوته أباه أن يغفر لقاتليه هي غاية التسامح الذي يكون نتاج محبة الكل حتى الأعداء

والمعتدين، وهنا يصبح معنى التسامح خياليا لا يمكن أن نجده واقعا ملموسا، ومؤسسة على قصة الصلب التي ينفيها كثير النقاد للأناجيل، كما يؤسسون للتسامح أنه نتاج المحبة والسلام الداخلي الذي يشعر به المؤمن المسيحي فينطبع هذا على سلوكه الخارجي.

– قيمة السلم وتحريم الاعتداء:

يقرر المسيح (عليه السلام) مبدأ حرمة الدماء والأعراض والأموال التي قررتها الأديان جميعا، ويزيد على التوراة بالعمل على سدّ المنافذ التي تؤدي إلى القتل أو الزنا أو السرقة، فحتى الكلمة النابية يرمي بها الأخ في وجه أخيه قد تؤدي إلى جريمة القتل، والنظر إلى المرأة بشهوة قد تقضي إلى ارتكاب الزنا.

ويتجلى الفرق الجوهري بين اليهودية والمسيحية في مسألة الجزاء، فبينما أخذت اليهودية بقاعدة الجزاء فالعين بالعين والسن بالسن، نجد المسيحية تدعوا إلى مقابلة الشر بالخير والرّد على السوء بالحسنى، فجاء في "الموعظة على الجبل" ليسوع: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ"[56]. ويعلق متى هنري على هذا النص: "مبدأ رد العدوان بمثله يجب أن يعدل ليتمشى مع ناموس المحبة"[57].

كما تذم نصوص الانجيل القتل بوصفه جريمة بشعة في مقاطع كثيرة لا تحصي، ولا يقتصر (يسوع) على إقرار الأمر القديم الوارد في التوراة: "لا تقتل"، بل إنه يعتبر غضبنا على إخواننا بدء قتل، "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ"[58]، فكما كان القتل خطية شنيعة، ولكن الغضب خطية كبيرة أيضا لأنه تعدي على وصية الله عن المحبة، ويشير الغضب هنا إلى حالة الغليان والشعور

بالمرارة ضدّ أحد الناس، وهو شعور خطر يهدد بالخروج عن اللياقة وضبط النفس، مما يؤدي إلى العنف والأذى العاطفي، والتوتر العقلي المتزايد، وغير ذلك من النتائج الخطيرة واللاأخلاقية[59].

وتذهب التعاليم الانجيلية إلى أبعد من تحريم القتل، بل إنها توجب اسعاف القريب المهدد في حياته، وتقديمه على سائر الأعمال، ولو كان ذلك مخالفا ليوم السبت لإنقاذ حياة إنسان، وهذا ما أمر وحثّ عليه المسيح عيسى (عليه السلام) في "الموعظة على الجبل": "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون"[60]، وقد قال في هذا الأستاذ (برنو) في قوله إنّ ذلك لا يعني موقف "الاستسلام" بل موقف "صانعي السلام" ف"يسوع" لا يدعونا للامتناع عن كل عنف وحسب، بل يريد أن نعمل على إقامة السلام بين الناس[61]. ويقول يسوع: "إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي"[62]، وتفهم هذه التعاليم الأخلاقية أن ما يتعرض له المسيحي جراء هذا العفو الكبير ولا محدود وعدم المقاومة، راجع إلى أنه عوضا أن نصبح تحت رحمة الأشرار، فعوضا من أن نخاف ضرباتهم، بل عليهم أن يتعرضوا لها ومواجهتها بالجسد للقتل :" وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا"[63]، ويفسر هذا المذهب الأخلاقي الذي يعلمه الإنجيل في مجال الحياة الانسانية، أنها أخلاق سامية ومنطقية أيضا، ذلك أن القانون الذي يأمرنا بألا نقاوم الشرير يمكن أن نأخذ به حرفيا منذ أن نحتقر حياتنا ذاتها[64].

فيرتبط سلوك الإنسان وحياته ارتباطا وثيق العرى بسلوك الآخرين وحياتهم وبقوانين المجتمع الذي يعيش فيه وكذلك بالمحيط الطبيعي الذي يحيا فيه، وتأخذ أيضا حياة الإنسان وعلاقاته بالآخرين وبالعالم معناها من الإيمان الذي هو تآلف مع الله، ومتى أقصينا البعد العمودي عن الحياة الاجتماعية فقد البعد الأفقي معناه أيضا، ووصل إلى التفكك والانحلال[65]، ولهذا فإنّ حقيقة الحياة المسيحية لا تكون في العمل بالقوانين الخلقية، إنما في إدراجها في الخليقة الجديدة التي أظهرها المسيح للعالم، فالأخلاق

المسيحية لا توجد في مبادئ أو نظريات أو أفكار، إنما في جسد المسيح نفسه الذي ينتمي إليه المؤمنون، فكل واحد منهم عضو فيه، ليست سمة المسيحي في مظاهره الخارجية، بل في مسلمات الكيان الجديد الذي يرسخ حياته ويثبتها[66]، فكانت القيم الأخلاقية التعاملية القائمة على المحبة في المسيحية مرتبطة بالإيمان المسيحي.

رابعا– القيم الأخلاقية مع الآخر في الإسلام.

من أهم المبادئ التي يقوم عليها التوازن الاجتماعي هو مبدأ التعايش، وقد رأى علماء الاجتماع أنّ تحقق هذا المبدأ داخل المجتمع ينطلق من نوعين من القيم، قيم من الخارج تفرض على أفراد المجتمع هذا المبدأ، وأخرى تنبع من الداخل أي تلقائيا، فالإسلام يقوم على جملة من القيم والمبادئ تجعل من التعايش بين البشر غاية محققة، تبدأ من الطبيعة الاجتماعية التي فطر عليها البشر، والتي تجسد رسالة الاستخلاف على الأرض، فلم يترك الله تعالى الإنسان يعيش عبثا فقد أرسل الأنبياء والرسل، معلمين ومرشدين، ومنظمين للعلاقة بين العبد وربه، وتنظيم العلاقات بين المرء وغيره، كما زرع الله في الإنسان بذور الحب والخير، وهي من مبادئ الفطرية الإيمانية للفرد المسلم، وهو مبدأ يفرض خيرية الإنسان أساسا، وفي مقدمة ذلك التعايش بين البشر، فالحب هو جوهر التركيبة البشرية، مع تفضيل الإنسان للعمل الخير دائما، باكتسابه جهازا قيميا مميزا بين الخير والشر، حتى ولو لم يقترن ذلك بتنشئة اجتماعية هادفة، ولهذا فإنّ هذه الثقافة الفطرية لمفهوم الخير وتمييزه عن الشر، أنها تفرض وجود قيم تحمل الأفراد على التعايش فيما بينهم، بالإضافة إلى القيم التي يكتسبها الإنسان من خلال تنشئة صحيحة، تحمل مبادئ التعايش[67].

هذه جملة المبادئ الأساسية التي ترسم للمسلم إطار تعامله وحياته، وتعاملاته مع أخيه الإنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم، وحثت عليها وأسست لها شريعة الإسلام وتعاليمه، أمّا القيم التي تختص بعلاقات المسلم الأخلاقية الإنسانية عامّة، أوجزنا أهمها فيما يلي:

1– قيمة الكرامة الإنسانية.

الإنسان خليفة الله في الأرض، والله تعالى سخر له ما في الكون جميعا، لخدمته، وفضله بالعقل وأعطاه الاستعداد للعلم بما في السماوات والأرض، وقد دلّ القرآن الكريم على هذه الكرامة في كثير من الآيات، منها ما جاء في سورة الإسراء: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[68]، وهذا التكريم لا يخص فردا دون الآخر، أو جنسا عن باقي الأجناس، بل هو تكريم لجميع البشر، قال رسول الله ﷺ :"يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ ألا لا فضلَ لِعَربيٍّ على أعجميٍّ ولا لعَجميٍّ على عربِيٍّ ولا لِأحمرَ على أسودَ ولا لِأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوى"[69]، فقد اعتبر الاسلام الناس أمة واحدة، ويجمعها رابط الإنسانية، وإن فرقت الأهواء فالأصل واحد، وإنّ اختلاف الألوان والألسن فهو من سنن الله في خلقه، كما أنّ اختلاف الناس شعوبا وقبائل لم يكن ليتقاتلوا ولكن ليتعارفوا ويتعاونوا، وأبلغ الآيات تعبيرا عن هذا المبدأ ، ما جاء في سورة الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[70]، وبهذه المساواة في القيمة الإنسانية التي تعتمد الأصل الواحد والنسب الواحد، فلا يتصور في أحد من بني الإنسان أن يولد متميّز عن غيره في الكرامة والقيمة، أو فيما ينبغي له من حقوق وكيان، فلقد ولد الجميع متساوون في كل شيء، ثمّ منح الجميع بعد ذلك أدوات الفهم والتعقل والتفكير، وتيسرت أمامه سبل التفوق والنبوغ[71]، وأرشده إلى سبل التعارف والانتفاع بين الناس، وقد حارب الإسلام أيضا كل مظاهر التمييز سواء بالألوان، كما حارب التمييز بالعنصر والجنس، فالناس جميعا لآدم، ولكن اختلاف بين البشر سنة لله في خلقه، وماهي إلا سبيل للتكافل الإنساني والانتفاع بهذه الأرض التي جعله الله خليفة فيها بمقتضى التكوين، وبمقتضى ما آتاه الله تعالى من مواهب واستعدادات تجعل الكون كله مسخرا له[72]، وبها حفظ الإسلام كرامة الفرد، وساوى بين جميع الخلق مهما تنوعت واختلفت الأعراق والأجناس.

2– قيم السلم والأمان والتسامح.

السلم أصل العلاقات الإنسانية بين الشعوب والأمم، والعلاقات الدولية، فالإسلام لا يسمح للمؤمنين أن يتدخلوا في شؤون الدول، وهو يحترم حق كل دولة في الوجود وحقها في السيادة والدفاع عن أراضيها وسيادتها، فلا شكّ أنّ الحرب في الإسلام ليست الأصل، ولا يسمح للمسلمين بابتداء الحرب من غير باعث، إمّا العدل أو الاعتداء أو الكرامة الإنسانية، فلا تكون حرب إلا كان من هذه القواعد ما يبررها[73].

كما دعا الإسلام إلى التسامح غير الذليل، فهو يبني العلاقات الإنسانية سواء أكانت بين الأفراد أو كانت بين الجماعات على التسامح من غير استسلام للشر وتمكين للأشرار، وقد ذكر الله تعالى ضرورة دفع العداوة بالتي هي أحسن. وهذا بشهادة اليهود بأنهم كانوا أفضل حالا تحت الحكم الإسلامي، وظلوا محميين قانونيا كأقلية، وفقا للتعاليم الإسلامية، وكانوا يسمون مع المسيحيين أهل الكتاب، باعتبارهم مجموعين في التوحيد، مما أكسبهم الحق في العيش دون مضايقة المجتمع المسلم، فكانوا أقليات دينية محمية قانونيا، وهذا بدفع مستحقات مالية، –ويقصد هنا دفع الجزية –، كما سمح لهم بممارستهم الدينية، وتظهر العلاقة اليهودية مع المسلمين أقل توترا وصداما مما كان عليه اليهود بين المسيحيين خلال العصور الوسطى، فكان اليهود يحظون بالحرية القانونية تحت حكم المسلمين، مما أسهم في الاتصال الاقتصادي والاجتماعي والفكري بين اليهود والمسلمين[74].

وقد طبق النبي ﷺ مبدأ التسامح في علاقاته بالمشركين وغيرهم، في معاهداته وفي حروبه، وكان الصفح الجميل أبرز ما يكون ظهوره عند الانتصار، فما كانت الحروب للثأر والانتقام بل لإعلاء الحق ودفع عدوان الباطل، ولذلك عندما فتح الله مكة وخضعت لكلمة التوحيد، كان الصفح الكريم من النبي ﷺ ، وتلتها العديد من المواقف للنبي عليه السلام في حروبه وغزواته لنشر الإسلام.

وبذلك يتبين أنّ الصفح والتسامح هو السياسية الإسلامية والقيم الأخلاقية التعاملية التي رسمتها النبوة في العلاقة بين المسلمين بعضهم ببعض، وخصوصا بين المسلمين وغيرهم، وهي سياسة مطلقة في حال السلم[75].

3– قيمة الحرية.

الحرية هي الإطار الذهبي الذي يعيش فيه الإنسان متميزا به عن باقي المخلوقات، فلقد منح عقلا وتفكيرا وإرادة، وفتحت له أبواب الاختيار والتمييز بمقتضى هذا العقل والارادة، لا سلطان عليه، فالحرية هبة ربانية لنبي الإنسان[76]، ومن أنواع الحرية التي حفظها القرآن للإنسان الحرية الدينية، وحرية المعتقد، فالدّين الإسلامي دين السماحة والسلم، يرفض أن يكره الناس على الدخول فيه قهرا، بل يدعوا الناس للدخول فيه اعتقادا واختيارا، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[77].

فالحرية مبدأ إسلامي يجب توافره لكمال الشخصية الإنسانية، وأهم حرية ينص عليها الإسلام احترام الإسلام لحرية التدين، وحرية العقيدة احتراما كاملا، فمنع الإكراه في الدّين، إذ نفى القرآن الكريم بالنّص أن يكون الإكراه طريقا للدين، ومنع المؤمنين من أن يكرهوا أحد على الدّين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[78]، فالإنسان حر في اختيار ما يؤمن به، وله الحرية التامة والمسؤولية في ذلك وتشمل حرية المعتقد أن يملك الإنسان ويختار ما يرضاه من الإيمان والنظر للكون والخالق والحياة والإنسان دون إكراه أو قسر، أو فرض عليه[79]، وتشمل حرية المعتقد كذلك حرية ممارسة شعائر الذي اختاره في السر والعلانية وحرا في أن يلزم على أي دين انطلاقا من معنى الحرية نفسه الذي يجب أن يوفر لهذا الإنسان إمكانية الاختيار[80].

وما أبيح القتال في الإسلام إلا حماية للحرية الدينية، ولمنع الفتنة والاضطهاد والاكراه، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى

الظَّالِمِينَ﴾[81]، فلقد حمى الإسلام في ظل حكمه من غير المسلمين في عبادتهم وشعائرهم، ولا أدّل على ذلك إلا المعاهدة التي أقامها النبي ﷺ ليهود المدينة على حسن الجوار، وعلى ترك حريتهم الدينية يقيمون شعائرهم كما يحبون، كما عاهد عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس على حريتهم الدينية، فكان من نص معاهدته معهم: "هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم"، فلقد أسس الإسلام للحرية الدينية على أساس التسامح والمعاملة العادلة النزيهة التي تحترم حرية الآخرين.

خامسا– انعكاس القيم الأخلاقية مع الآخر في الواقع المعاصر.

إنّ الاختبار الحقيقي للشرائع والأديان هو نزولها من علوها النظري إلى ساحة الاختبار العملي داخل المجتمعات، واثبات نفسها كفعل إيمان حي فاعل، في مسلك ووجدان الإنسانية، كما أنها تثبت نجاحها على أنها النهج العملي السليم، وخط السير الفعلي الصحيح لمسيرة الانسانية، نحو رقيها وخيرها وسعادتها عبر كل العصور والأزمان، وهذا ما سوف نتتبع انعكاساته في واقع تطبيق القيم الأخلاقية التعاملية، بين الديانات السماوية الثلاث، سواء عبر تاريخها أو يوم في الحاضر.

فإذ عدنا إلى القيم الأخلاقية التعاملية مع الآخر في الديانة اليهودية، نجد أنفسنا أمام جملة من القيم الأخلاقية الغير إنسانية والقيم العنصرية، فنجد عبر تاريخ اليهود يحتقرون غيرهم ويطلقون عليهم اسم "الجويم"، وهي تسمية تدل على كل نعت بالهمجية والبربرية والقذارة والنجاسة[82]، ونستطيع من خلال مجموع القيم الأخلاقية التي تتسم بها الديانة اليهودية، أن نصنف القيم الأخلاقية التعاملية مع الآخر إلى نوعين من القيم:

– قيم داخل التكوين اليهودي، حيث العلاقة حميمية مترابطة، قيم داخلية في صميم التكوين اليهودي لا تخرج إلى الأعلى وكأنها كتلة صلبة صماء.

– منظومة قيم خارجية مع الإنسانية جمعاء يسودها الجفاف والقطيعة، الرابط الرئيسي بين هذا التكوين والوجود الإنساني هو العامل الاقتصادي، فبقدر المصلحة والتبادل النفعي تحدث العلاقة، فهي علاقات مادية بحتة غير إنسانية[83].

هذا النمط الفكري والحياتي أعطى اليهود خصوصية تأسست عليها طبقة اجتماعية وظيفية منسجمة مع وعي اليهودي لخصوصيته الدينية، وهذا ما جعل اليهود المعاصرين غير قابلين للذوبان في المجتمعات التي عاشوا فيها[84]، فلقد أسست النصوص التوراتية لقيم عنصرية فرقت بين اليهودي وغيره في كل التعاملات، وجعلت من الكيان اليهودي كيانا منغلقا عن ذاته، لا تربطه أي تعاملات إنسانية مع غيره، ولهذا كانت روح النص التوراتي مع مجموعة تعاليم اليهودية في الأخلاق تشكل نسقا للاستهانة بالغير والنظرة الدونية للآخرين وعدم احترامهم

هذه الأحكام التي تشرعها التوراة ضدّ من لا يدين باليهودية، تنبع من نظرة عقدية متجذرة باعتبار أنّ التوراة تنظر لغير اليهود أنهم أقل مرتبة من اليهود، وإلى أحد أهم الصفات المتجذرة في الشخصية اليهودية وهي الاعتزال والعنصرية، عبر التاريخ اليهودي وما تصفه التوراة أيضا وتؤسس له عبر مختلف المحطات التاريخية، وتجسدّ هذا في المراحل المتأخرة من التاريخ اليهودي داخل المجتمعات القديمة والحديثة، واتخّذ أشكالا مختلفة مثل: "حارة اليهود" في مصر، و" قاعة اليهود " أو المسبتة (نسبة إلى يوم السبت) في اليمن، و"الملاح" في المغرب[85]، أمّا في شرق أوربا فإنّ مناطق الانعزال اليهودي اتخذت تسميات مختلفة، كالشتل[86]، والقاهال[87]، وكذلك الجيتو، وهذا الأخير التي تعّد أشهر تسمية للتجمعات اليهودية في أوربا، وشكلت هذه المجتمعات الطوعية لأراض دينية كدراسة النصوص الحاخامية، وجمع الأعمال الخيرية ورعاية الأيتام والمرضى وتعكس الطبيعة الشاملة لحياة اليهود في العالم[88].

وأراد اليهود من خلال العيش داخل "الجيتو" أن يكونوا منفصلين عن باقي الشعوب لأنهم يشعرون بأنهم متفوقون على عامة الناس[89]، ولم يكن الجيتو عزل إنساني للوجود

اليهودي، بل كان عزل يهودي للظاهرة الإنسانية، وهو مرجع هذا العزل هو حالة الشعور بالتفوق والأفضلية، وتحول هذا الشعور إلى عقدة هي نتيجة عقدة التعالي اليهودي على النوع الإنساني، وتعتبر المرجعية الدينية المتمثلة في التوراة وأسفار بني إسرائيل والتلمود القاعدة التربوية للتكوين النفسي والفكري والشخصية اليهودية، حيث الاستعداد للغلو إلى حد العزلة، ولقد استمر الشعور العنصري غذته في العصر الحديث مبدأ القومية الذي تنامى في أوربا، فانتقل إلى اليهود ليعطي لليهود حق الوجود على أرض تكون له، وحق انشاء دولة يهودية، وهذا ما أفرز كل الانتهاكات التي يمارسها اليهود اليوم على أرض فلسطين التي استعمرتها وهجرت أهلها لتقيم دولة وكيان يهودي.

أمّا إذا ألقينا نظرة على المسيحية وواقع القيم الأخلاقية في المجتمع المسيحي، نستطيع أن نرى القلق الذي يعاني منه هذا الانسان المسيحي، في حياته العائلية والاجتماعية، رغم ما يغطي هذا الوضع من طلاء التمويه ومساحيق المظاهر، التي لم تستطع أن تخفي ما وراءها من الحقيقة المرة والواقع الأليم، فالقيم الأخلاقية التعاملية في داخل الأسرة ونحو الفرد الآخر، لا تحددها أبدا وحدة الدم والمصير والقربى والحياة المشتركة، والعواطف المتبادلة والأحاسيس لأن هذه القيم انعدمت منذ زمن طويل، وإنما ترسمها وحدة المصالح ليس إلا، وتنظمها القوانين الوضعية[90].

ويلاحظ المختصون في الدراسات القيمية والأخلاقية أن المسيحية تعاني من مأزق الحقيقي يتمثل في كونها تعاليم بلا شرائع، ووصايا بلا أحكام، ومع ذلك نجدها ترفض هذه الحقيقة، بل على العكس نراها تبني تصرفها على غير أساس حقيقتها وواقعها، فالمجتمعات بحاجة إلى شرائع وأحكام، تنظم حياتها وتضبط مسيرتها، وتحل مشاكلها، وأية ديانة تفتقر إلى هذه الأساسيات، هي غير صالحة لقيادة المجتمعات[91]، وهذا ما تؤكده النظرة المتفحصة للواقع والتاريخ المسيحي، يساعدنا في معرفة مدى التزام المسيحيين بهذه القيم الأخلاقية في تعاملاتهم وسلوكاتهم مع الآخر المخالف لهم في العقيدة والدين، وأولها نظرة الكنيسة التي تعّد جسد المسيح الذي يسكنه الروح القدس والمؤيدة به.

فنجد دعوة المسيح (عليه السلام) دعوة أخلاقية روحانية سمحة، أثرها كبير على نفوس المؤمنين به، وخاصة في عهد الحواريين الذي التزموا وطبقوا تعاليمه، وحرم الاعتداء على الآخرين بأي وجه من الأوجه بل كان سبيلهم التضحية خاصة خلال القرون الثلاثة الأولى، وهذا لقربهم من زمن المسيح وتعاليمه، وكذا حال المسيحيين وضعفهم في ذلك الوقت.

ولكن مع بداية القرن الرابع، تغيّر موقف المسيحيين من القتل والقتال وحمل السلاح، خاصة مع اعتناق الملك قسطنطين للمسيحية وتوليه أمر الدفاع عنها وعن المسيحيين، وبدأ اضطهاد كل المخالفين ولو كانوا مسيحيين خاصة من خالف قرارات مجمع نيقية (325م) وقام بعض رجال المسيحية يطالبون بقصر الدين على المسيحية واضطهاد سائر الأديان ومحاربتها.

ومع تطور المراحل التاريخية خاصة في الامبراطورية الرومانية، حملت الكنيسة لواء الحرب والعداء بدعوى تحقيق العدل، ولكن هذا العدل هو العدل الذي يتطابق مع طاعة الكنيسة في جميع قراراتها واتباعها في معتقداتها، فلم تقبل بالمخالفين ولو كانوا داخل الديانة المسيحية (الهراطقة) أينما حلّت الكنيسة، بل رفعت لواء الحرب والتقتيل لهم، ناهيك من كانوا مخالفين لها في الدين، وفي مقدمتهم أهل الديانتين اليهودية والإسلام.

وأضحت الكنيسة المسيحية تاريخا مملوء باضطهاد المخالفين عبر التاريخ ، ومناصبتهم العداء فضلا عن رفضها للتعايش معهم بسلام وتسامح، ومن الأمثلة التي نسوقها دون تفصيل في ذلك الحروب الصليبية ضد المسلمين، ومحاكم التفتيش ضد اليهود والمسلمين معا، وكذا حروب التبشير التي قادتها الكنيسة في أمريكيتين ... وغيرها.

وأخيرا بالعودة إلى الإسلام، الرسالة الأولى والصحيح لجميع الأنبياء، فإننا نجد تعاليمه سمحت لغير المسلمين من أهل الكتاب بالعيش في كنف المجتمع المسلم، وشرعّت لهم عقد الذمّة، ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

صَاغِرُونَ﴾[92]، ونقصد به في اللغة العهد والأمان والضمان، والتمتع بالحرية الدينية والعدل والتسامح الاجتماعي[93].

ولما كان عقد الجزية عقدا يقتضي عيش غير المسلمين في ديار الإسلام، كان من الطبيعي أن تنشأ علاقات تعاملات بين الطرفين، ولم تخلف الشريعة الإسلامية ضبط هذه العلاقة في معاملة المسلمين لأهل الذمة، فيجوز معاملة الذميين بالبيع والشراء ونحوهما ما لم تكون هذه المعاملات مما لا تقره الشريعة الإسلامية كالتعامل بالربا أو الاتجار في المحرمات كالخمر والخنزير، والضابط لذلك أنّ كل ما جاز في معاملة المسلم للمسلم جاز في معاملة المسلم للذمي، وأنّ ما لا يجوز في معاملة المسلمين لا يجوز في معاملة المسلمين لا يجوز في معاملة المسلم للذمّي.

كما يعّد عقد الجزية تقرير له من اليهود أو النصارى أو المجوس على دينه، ويصبح من أهل دار الإسلام من المسلمين والذميّين، وعلى هذا فيكون الذمي خاضعا لأحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالحرام والحلال والعقوبات فيما عدا ما يتعلق بالعقيدة أو الأحوال الشخصية فيتركون على ما يعتقدون في أديانهم. كما أنه لا خلاف بين الفقهاء أنّ المسلم لو اعتدى على مال الذمي عوقب بالعقوبات المقررة في الشريعة الإسلامية، كما أنه لا خلاف بينهم لو اعتدى على مال ذمي مثله أو على مال مسلم أنه يعاقب بالعقوبات المقررة في الشريعة الإسلامية، لأنه التزم بأحكام الشريعة الإسلامية حين دخل في عقد الذمّة[94]، وغيرها من الأحكام التي ضمنت الحريات والسلام والأمن والتعايش داخل المجتمع الواحد.

فالإنسانية كلها خلقها الله سبحانه وتعالى من نفس واحدة ثمّ شاء لها الاختلاف، إلى ذكران وإناث، وشعوبا وقبائل، وألسنة ولغات وقوميات، وألوان وأجناس، وملل ونحل وشرائع وأديان، ومناهج وثقافات وحضارات، وأعراف وتقاليد وعادات، في إطار "جامع الإنسانية الواحدة" ونفس المنهاج قد حكم الرؤية الإسلامية في النظر إلى " الأمة ... ورعية الدولة" فجامع الأمة هو الرابط الذي يظلل التنوع والاختلاف في العقائد والشرائع

الدينية، وفي الشعوب والقبائل، باختلافهم وتبايناتهم، كل هذا التنوع – الذي هو سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل– يعيش ويزدهر في ضلال جوامع الأمة الواحدة، والحضارة الواحدة[95].

خاتمة:

في ختام هذا الورقة البحثية الموسومة بـ "القيم الأخلاقية مع الآخر بين الديانات السماوية الثلاثة وانعكاساتها الواقعة" يمكننا استخلاص جملة من النتائج أهمها:

– تعد الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام بنصوصها المقدسة قاعدة لاستنباط القيم الأخلاقية مع الآخر، فالقيم الأخلاقية تحتل أهمية كبيرة ضمن المنظومات الدينية لا تقل أهمية عن النظم العقدية والتشريعية، ذلك أنّ السلوك الانساني يرتبط بالقيمة، وتعد هذه الأخيرة البوصلة التوجيهية للسلوكات البشرية لما هو أفضل، وما هو مرغوب في تحقيقه.

– ترتبط القيم الأخلاقية مع الآخر في الديانة اليهودية بما تضعه نصوصها المقدسة من أحكام وتشريعات تضبط سلوك اليهودي وتعامله مع غير اليهودي، إلا أننا نجدها تنطلق من عمق العقائد اليهودي خاصة المرتبط بعقيدة "شعب الله المختار" و"الشعب المقدس".

– تناقض نصوص التوراة فيما يخص التعامل مع غير اليهودي واضح وجلي، فلا يلبث أن نجد نصوصا تدعوا إلى التعامل معه بقيم الرحمة والاحسان، كما نجد الوصايا العشر اليهودية تقدم جملة من القيم الأخلاقية المطلقة، التي تنطلق من الإنسانية الواحدة والمعاملة الأخلاقية التي لا تفرق بين اليهود وغيره، إلا أننا لا نلبث حتى نجد في المقابل ما يناقض هذه النصوص ويعارضها وتظهر نزعة العنصرية وما يلحقها من قيم لاأخلاقية تتجلى في اباحة سرقته والتعدي عليه وغشه وتصل لحد الاستعباد والقتل،

– كانت دعوة المسيح عيسى عليه السلام روحية أخلاقية مترفعة عن القيم المادية، مبنية على قيم المحبة والإيثار والتسامح والسلم وتحريم الاعتداء على الغير، وكانت مواعظ

عيسى (عليه السلام) على الجبل أو ما يسمى بالتطويبات تعاليما أخلاقية للإنسان مع غيره.

– القيم الأخلاقية مع الآخر في الإسلام تقوم على ما أسس له القرآن الكريم وما أقرته السنة النبوية، وكانت في مجملها قيما للتعايش السلمي وقبول الآخر، وإثبات كرامة الإنسان وحفظ إنسانيته وتكريمه على الأرض، واعتبر الإسلام جميع الناس أمة واحدة ولا اعتبار لاختلاف الألوان والألسن والأعراق والأنساب إلا أنها سنة الله في الكون، ولذلك تأسست قيم الإسلام في علاقات المسلم مع غير المسلمين على السلم والأمان والتسامح، وقبول عيشهم بين المسلمين، وضمان حقوقهم وحرياتهم الدينية وإقامة شعائرهم والعيش بين المسلمين دون تفريق أو تمييز.

– إنّ انعكاس القيم الأخلاقية في الديانات السماوية الثلاث يتجلى من خلال واقع المجتمعات اليهودية والمسيحية والإسلامية وتاريخهم، فلم تكن القيم التوراتية الانعزالية والعنصرية إلا سبيلا لاضطهاد وكره اليهود عبر التاريخ، وانتهت بقيم صهيونية أراد من خلالها اليهودي إثبات نفسه وتطبيق قيم اغتصاب الحقوق والتعدي على الآخرين إلى يومنا هذا، ابتعد فيها اليهود عن قيم التوراة الحقيقة، ورسالة النبي موسى (عليه السلام) قبل أن تطالها يد التحريف.

– أمّا المدنية المادية المسيحية فقد ابتعدت عن القيم التي أرستها تعاليم وحياة المسيح (عليه السلام) وأضحت الكنيسة المسيحية تاريخا مملوء باضطهاد المخالفين لها، وانتهت بدول استعمارية، تقتل وتنهب وتعتدي على غير المسيحيين.

– قيم الإسلام في التعامل مع الآخر قيم ثابتة ثبات القرآن الكريم في كل مكان وزمان، وهذا ما جسده المسلمون عبر تاريخهم، والتزامهم بتعاليم وأحكام الإسلام ولو في حالات الصدام والحروب.

– لقد توحدت القيم الأخلاقية بين الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام في جوهرها كونها رسالة موحدة من الأنبياء، ولكن التحريف الذي طال

النصوص المقدسة التوراة والإنجيل غيّر من هذه القيم وحرفها وجعلها قيما خادمة لأهلها ولا تقبل بقيم السلم والتعايش والإنسانية الواحدة.

الهوامش:

[1] – أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، 1960م، مج 4، ص 683.

[2] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي: القاموس المحيط، ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط3، 1980م، مج 4، ص 166.

[3] – رويه: فلسفة القيم، نقلا عن: عادل العوّا : العمدة في فلسفة القيم ، دار طلاس للدراسات، دمشق، سوريا، ط1، 1986م، ص 270.

[4] – أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة: خليل أحمد خليل منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 2، 2001م، مج3، ص 1523.

[5] – جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م، جز 1، ص 212.

[6] – إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د ط، 1983م، ص 151.

[7] – نقلا عن: عادل العوّا: القيمة الأخلاقية، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، د. ط، د. ت، ص35– 38.

[8] – أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، دار بيروت، بيروت، لبنان، 1968م، مج 10، ص 86.

[9] – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 89.

[10] – أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدّين، مكتبة ومطبعة كرياط فوترا، سماراغ، اندونيسيا، د ط، د ت، جز3، ص 52.

[11] – ليلى سوراني وآخرون: معجم المصطلحات الأخلاقية، مركز باء للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 13.

[12] – السّيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2000م، ص8– 9.

[13] – محمد عبد الله الشرقاوي : الكنز المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة، مصر، ص 190.

[14] – إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة: رضى سلمان، شركة المطبوعات، بيروت، 1966م، ص 136.

[15] – اللاويين 19: 34، 37.

[16] – التثنية 10: 18– 19.

[17] – الخروج 22: 21.

[18] – وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم –شرح سفر الخروج–، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، د ط، 1973م، ص 102.

[19] – الخروج 23: 9.

[20] – وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، – شرح سفر الخروج–، ص 105.

[21] – محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط8، 1983م، ص 262.

[22] - A Jewish Spiritual perspective on psychopathology and Psychotherapy: A Clinician's View" , Journal of Religion and Health , no 4 , 2004 ,vol 43 , p 333 .

[23] – اللاويين 19: 33.

[24] – وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر اللاويين–، ص 102.

[25] – André Gaillard: Le judaïsme et l'invention du racisme culture, p 29.

[26] – الخروج 3: 21– 22.

[27] – الخروج 11: 3.

[28] – سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، دار ورد، الأردن، ط1، 2010م، ص 92– 93.

[29] – محمد أحمد النابلسي: النفس المغلولة –سيكولوجية السياسة الإسرائيلية–، د د ن، ط1، د ت، ص 20.

[30] – سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 94– 95.

[31] – عبد الستار الراوي: الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، نشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق، د. ط، 2002م، ص 21.

[32] – التثنية 14 : 2.

[33] – عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المناهج، د ب، د ط، د ت، ص 57– 58.

[34] – جميل خرطبيل: نقد الدّين اليهودي، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط2، 2007م، ص 94.

[35] -Werner Sombart : The Jews and Modern Capitalizme , translated by: M. Epstein, Batoche Books, Kitchener, Ontario, Canada, 2001, P134 .

[36] – الخروج 20: 13– 17.

[37] – التثنية 23 : 19– 20.

[38] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, Facts On File, New York, 2006 ،p 541.

[39] – فؤاد بن سيد عبد الرحمان الرفاعي: حقيقة اليهود، (دون معلومات النشر)، ص 17.

[40] – فؤاد بن سيد عبد الرحمان الرفاعي: حقيقة اليهود، ص 17– 18.

[41] – اللاويين25: 39– 46.

[42] – الخروج 34: 12.

[43] – التثنية 7: 2.

[44] – سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 34.

[45] – ساجد مير: المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل، دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت، ص 11. (نقلا عن : (The American People's Encyclopedia, Chicago, 1960, vol 5, P 435)

[46] – أبو ضيف المدني: الأخلاق في الأديان السماوية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1988م، ص 34.

[47] – لوقا 6: 45.

[48] – يوحنا 10: 16.

[49] – يوحنا 11: 51-52.

[50] – فاضل سيداروس اليسوعي: المجتمع في ميزان الكنيسة، دار الجيل، مصر، د ط، 1979م، ص 29.

[51] – لوقا 6: 27- 36.

[52] – يوحنا 18: 36.

[53] – محمود الشرقاوي: الدين والضمير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1964م، ص 41- 42.

[54] – جورج منزريذي: الأخلاق المسيحية، ترجمة: ميشال نجم، (د م ن)، ص 118.

[55] – فاضل سيداروس اليسوعي: المجتمع في ميزان الكنيسة، ص 22.

[56] – متى 5: 38- 42.

[57] – متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدس، مطبوعات إيجلز، جزء 1، ص 51.

[58] – متى 5: 21 – 22.

[59] – مجموعة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة: شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر، 1997، ص 1884.

[60] – متى 5: 9.

[61] – فاضل سيداروس اليسوعي: المجتمع في ميزان الكنيسة، ص 58.

[62] – متى 6: 14.

[63] – متى 10: 28.

[64] – ألبير بايه: أخلاق الإنجيل –دراسة سوسيولوجية–، ترجمة: عادل العوّا، دار نعمان للدراسات والنشر، دار الحصاد، دمشق، سورية، د ط، د ت، ص 61.

[65] – جورج منزريذي: الأخلاق المسيحية، ص 158.

[66] – جورج منزريذي: الأخلاق المسيحية، ص 62- 63.

[67] – محمود البستاني: الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، ط، 1994م، ص 69- 73.

[68] – الإسراء : 70.

[69] – الصحيح المسند (1536).

[70] – الحجرات : 13.

[71] – محمد خضر: الإسلام وحقوق الإنسان، (دون معلومات النشر)، ص 11.

[72] – محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1995م، ص 20– 23.

[73] – محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 50.

[74] - Michael L . Satlow : Creating Judaism History ,Tradition ,Practice, Columbia University Press, New York, 1893, P 190.

[75] – محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 27– 28.

[76] – محمد خضر: الإسلام وحقوق الإنسان، ص 21.

[77] – النحل : 125.

[78] – البقرة : 256.

[79] – محمد الزحيلي: "الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية وأبعادها وضوابطها"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27، العدد 1، دمشق، سوريا، 2011، ص 375.

[80] - فيصل شنطاوي: حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني، ط2، دار مكتبة حامد، الأردن، 2001، ص 78. (للبحث)

[81] – البقرة: 193.

[82] – حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، سوريا، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص 109.

[83] – سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 31– 32.

[84] – محمد أحمد النابلسي: النفس المغلولة –سيكولوجية السياسة الإسرائيلية–، د د ن، ط1، د ت، ص 17– 18.

[85] – رشاد الشامي: الشخصية اليهودية والروح العدوانية، ص 13.

[86] – الشتل: صيغة التصغير لكلمة "شتوت" التي تعني " مدينة" وهي كلمة عبرية الأصل وكانت تعني "شتلة" أي زرع (أو شتل) كيان ما داخل التربة، والشتتل تجمع سكاني يهودي يبلغ عدد سكانه ما بين ألف وعشرين ألف(عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط د، 1982م، ص 26) .

[87] – القاهال: كلمة عبرية تعني "جماعة" وتستخدم للإشارة إلى المؤسسة اليهودية المعروفة بهذا الاسم في بولندا ثم في روسيا فيما بعد، فأسسوا نظاما إداريا قضائيا مستقلا يرأسه مجلس أعلى، تكون من مهمته فرض الضرائب وتعيين

القضاة وإقامة المحاكم وتنظيم مختلف وانب الحياة اليهودية من الداخل.(عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، ص 26).

[88] -Howard . N. Lupovitch: Jews and Judaism in word history, Routledge, Madison Ave ، New York, USA, 2010, p 80.

[89] - Werner Sombart : The Jews and Modern Capitalizme, p 167.

[90] – شريف محمد هاشم: الإسلام والمسيحية في الميزان، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 473–474.

[91] – شريف محمد هاشم: الإسلام والمسيحية في الميزان، ص 476.

[92] – التوبة: 29.

[93] – علي حسن الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994م، ص 109–110.

[94] – عباس شومان: العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م، ص 41– 48.

[95] – محمد عمارة: الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص 9.